

أمانة الفكر ... إبراهيم يحيى أبويلي



إن الله سبحانه و تعالى عندما خلق بني آدم و نفخ فيه من روحه ، و ليجعله فوق كل المخلوقات جعل له عقل و فكر يتدبر به خلقه أولاً ، ثم ما يدور حوله من معطيات و هبات سخرها الله له ... فيجب أن يعي الإنسان هذا الأمر و يضعه نصب عينيه في جميع الأمور ...

هذا العقل و الفكر أمانة ائتمن الله عليها العباد ، فيجب الحفاظ عليها و استعمالها في كل ما هو خير و نفع له و للمحيطين به ... و مادام الأمر كذلك فكيف ينحدر هذا الإنسان بفكره إلى مرتبة دون مرتبة الإنسانية و لو بقدر ضئيل حينما يسلم نفسه إلى دعاة الرذيلة ، و الذين لا همّ لديهم سوى اصطياد الضعفاء و المنهزمين و عباد الشهوات ، و الذين لا همّ لهم في الحياة سوى النوم و الكسل دون المثابرة ليوجهوهم حينما أرادوا و كيفما شاءوا ..

هنا نربأ بالشباب الذين تبني الأمة عليهم الآمال العراض عن وضع أفكارهم و عقولهم التي وهبهم الله إياها في أيدي الخفافيش الذين يعملون في ظلمات الكهوف و السرايب المشبوهة ... "و من كان الغراب له دليلاً .. يمر به على جيف الكلاب" ..

و الثقة بالنفس من أرقى ما يتطلع إليه الانسان السوي القوي بإيمانه ، ثم نفسه التي ائتمن الله عليها بكل كيانها الفكري و الجسدي و ما تحويه النفس من شعور و أحاسيس ... فعندما ينخرط الشباب في الرياضة - على سبيل المثال لا الحصر - ، و هي شيء جميل لتقوية الجسد و تنمية العقل ، و لكن عندما يفقد هذا الانسان توازنه في تشجيع فريق من الفرق الرياضية ثم يتعصب لهذا الفريق تعصباً يؤدي به إلى إنزال نفسه منزلة قد تصل به إلى منزلة الوحوش الضواري ، و إطلاق العنان للغضب و عدم تحكيم العقل و الفكر الذي يصل به إلى ارتكاب أشد أنواع المحظور من قذف و سب ، و الولوج رويداً رويداً إلى العنصرية و التلطف بكلمات ، لو تربيث قليلاً لوجدنا من المحرمات التي حرّمها الله تعالى على عباده ..

و أيضاً على النقيض من ذلك عندما يعتقد الشباب أن كل ما يدور في المجتمع هو فاسد و يجب تغييره بالعنف و تسليم فكره و نفسه إلى دعاة الضلال الذين يحاولون أن يتخذونهم مطية إلى غاياتهم المريبة و مأربهم المشبوهة و يغسلون عقولهم أو بالأحرى يدنسون عقولهم بأفكار و معتقدات تؤدي بهم إلى ما لا يحمد عقباه ثم الندم حين لا ينفع الندم ..

و من جهة أخرى هناك الآفات و السموم التي تغيب الفكر و العقل و تجعل الشباب خامللاً لا نفع منه ، بل تحمل الدولة أعباء بناء مصحات و مستشفيات لعلاج هؤلاء المدمنين ، فلقد كان من باب أولى لو لم يدخل الشاب نفسه في هذه المتاهة ، أن تبني مراكز خدمات يستفيد منها المجتمع بأسره بدلاً من بناء مصحات ، فليفقه الشاب هذه النقطة و يضعها نصب عينيه فسيرى الفرق و المنفعة واضحة جلية ...

فنحن نرى و نسمع كل يوم من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان و تشمئز منه الأنفس السليمة الخالية من الشبه ، و نستغرب كيف وصل الأمر إلى هذا الحد بهؤلاء الذين تربوا في بيئة معتدلة و آباء و أمهات متميزون في أخلاقهم و تعاملاتهم و يشهد لهم المجتمع برجاحة عقولهم و حكمتهم ، و لكن لن نبأس أبداً و سنظل نعمل و نستعين بالله و نستمد منه العون...

نعم نحن ندرك أن هناك من يترصد بالشباب و الفتيات .. أولئك الذين يكمنون لهم في الظلام ليتخطفهم من بين أحضان مجتمعهم و يقحمهم في أتون الجاهلية و ظلمات الأفكار المنحرفة سواء إلى أقصى اليمين أو إلى أقصى اليسار كما يقال و كلا الإتجاهين تطرف و غلو ... فهل هذا ما يجب أن تكون عليه المجتمعات الراقية التي تريد أن تصل بالإنسانية إلى المراتب العليا؟! .. حيث بونها الله مكانة مرموقة بين مخلوقاته حتى تعبدته حق عبادته ، و أن تبني نفسها و أمتها لتصل إلى أعلى درجات الرقي و تعيش في هذا الكوكب بسلام مع من يشاركها العيش فيه ..

المجتمع يهتم كثيراً بالأمن الاقتصادي و السياسي و الغذائي و لا ضير في ذلك .. و لكن لا يمكن أن تتم هذه الأمور إلا إذا وضعنا الأمن الفكري و كل ما يتعلق به من عقائد و توجهات في المرتبة الأولى ، إذا ما أردنا أن تنجح المجتمعات في سوى ذلك .. و في الحقيقة أنه لا يمكن المضي قدماً إلا إذا وضعنا الأمن الفكري في أول السلم ليكون الصعود أكثر سهولة ..

و ما نلاحظه في هذه الآونة من تكثيف للجهود في سبيل التوعية بلزوم الحرص على الأمن الفكري ، إلا لأن الأمور قد تفاقمت و استشعر المربون و العاملون في هذه المجالات من الأخطار التي باتت تعصف بأفكار الشباب ، و مواجهة من أخذوا على عاتقهم و أقسموا كما أقسم قائدهم إبليس أمام الله أن يضل الناس .. كذلك هم أتباعه و جنوده و هي معركة قائمة منذ الأزل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .. فيجب على كل من أراد الخروج بالأمة من دياجير التيه و الظلمات إلى النور أن يعلم أن المعركة لا هواده فيها و لا لين ، و أن النصر دائماً للمخلصين كما وعد الله عباده ...

نعم يجب تضافر الجهود و نضمها في سلك واحد قوي بقوة الله و عون ، ما بين البيت و الأسرة أولاً فعلياً نحن الآباء جهود مضاعفة لأننا و بكل بساطة أمناء على أبنائنا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (كلكم راعي و كلكم مسؤول عن رعيته) ، و ثانياً المدرسة فهي المنزل الثاني للشباب و الشبابات و نسأل الله أن يعين و يوفق المعلمين في ذلك ، فإنهم يحملون عبئاً ثقيلاً على عواتقهم ، و أيضاً الأندية يجب أن تتحمل كذلك مسؤوليتها فليس فقط أن تهتم هذه الأندية ببنية الشباب دون فكره ، بل أولاً يجب أن تبني الفكر إن أرادت أن تبني شباباً كاملاً فكرياً و جسدياً .. فيجب علينا عدم التواكل و الاعتماد على الآخر فنحن كما نقول دائماً في سفينة واحدة تعصف بها الرياح

الهُجاء من كل جانب و لن ينجو أحد إذا غرقت لا سمح الله ، و يجب أن نبحر بها سوياً متكاتفين متعاضدين لنصل بها إلى شاطئ الأمان بإذن الله تعالى و توفيقه ..

ختاماً .. نسأل الله أن يحفظ أمتنا بحفظه و يسدد خطانا و أن يجمع علينا شملنا و يجعلنا من المخلصين في أقوالنا و أفعالنا و أن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا و يعصم شبابنا و فتياتنا من كل سوء و زلل ، و أن يلهمنا رشدنا و يحقق لنا الآمال و ما نصبو إليه من رفعة مجتمعاتنا و أوطاننا .. و صلى الله على سيدنا و حبيبنا محمد و على آله و صحبه و سلم .

إبراهيم يحيى أبو ليلي